

ديوان آل البيت :

و ديوان آل البيت بالدمع أكتب : وباللهم من قلبي وبالجملة أسكب
وذاك يران الكل فيهم محبب : إلى القلب إذ كل إلهة ينسب

(٣)

قصيدة
أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها

بعلم

د. حسن محمد باجودة
أستاذ الدراسات القرآنية البائية (سابقاً)
جامعة أم القرى مكة المكرمة

وقف على معهد الدراسات القرآنية ببنات مكة المكرمة
العنوان : ١٣ شارع الحضارة الرصيفة
خلف مسجد الأمير أحمد

ص.ب ٩٥٠٩ ، مؤبريدى ٢١٩٥٥
المكتبة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين ،
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . وبعد :
فهذه العمل بعنوان : قصيدة أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، خديجة بنت
خويلد ، رضي الله تعالى عنها ، عبارة عن قصيدة رائية من بحر
الطويل تقع في ٤٠ بيتاً ، ومطلعها :
خديجة بالآخلاق أعظم نفوساً إلا إننا أطلاقاً أحمه نهور
وتسبق القصيدة تمهيد ، وهو عبارة عن دراسة موجزة
لبعض الأمور التي تعين على فهم القصيدة ، حيث إننا نتعلق
ببعض قضاياها .

وهذه القصيدة هي الثالثة من ديوان آل البيت ، حيث
إننا تسبقها قصيدة أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زينب بنت جحش رضي الله
تعالى عنها ، وقصيدة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها بنت
محمد بن عبد الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

لقد عني كلٌّ من التمهيد والقصيدة . مجموعة من القضايا التي
اشتمت خديجة رضي الله تعالى عنها ، كما يقول عنها محمد صلَّى الله
عليه وسلَّم : زنا سيِّدة نساء الأحرار ، كما أنَّ مريم
بنت عمران سيِّدة نساء السابقين .

إنَّ خديجة رضي الله تعالى عنها ، التي اختارت محمد صلَّى الله
عليه وسلَّم زوجاً لها ، كانت تكلمه بخمسة عشر سنة ، فهو من
الخاصة والعشرين ، وهي من الأربعين ، وتزوجت مرتين
أثنتين وأنجبت . فهي إذن تجمع بين العقل ، والبرية والحكمة .
وهي كذلك بمثابة الأُمِّ ، التي لديها وحدها الحنان العظيمة
وهذا الحنان فقدَّه محمد صلَّى الله عليه وسلَّم بوفاة أُمِّه صغيراً ،

ولا تستطيع امرأة أن تعوضه إياها ، سواء خديجة رضي الله
تعالى عنها ، إذ إن حياته عليه الصلاة والسلام ذاتها هي البراءة
والكفاح ، وقد قامت خديجة بالذور الذي يحتاجه عليه الصلاة
والسلام ، والذي لا يستطيع أن يقوم به أحد سواها .

كانت خديجة امرأة تاجرة ، وتحتاج من ينوب عنها في رحلة
الصيد التجارية إلى الشام ، وكان محمد يلقب من مكة المكرمة
وحدته بالأمين ، وأهم ما تحتاجه التجارة الأمانة والأمن .
وقد اختارت خديجة محمد الأمين ممثلاً لها في هذه الرحلة ، ونائباً
عنها في إدارة أموالها . وقد أرسلت معه إلى الشام غلاماً
مبستره ، الذي رأس من أمانة محمد ، وعفيته ، ومهارته ، ما
فاق كل تصور ، مما أدى إلى الترحيب الكثير . فقل ميسرة كل ذلك
إلى خديجة ، التي رغبت فيه زوجاً ، ونم رفضها كل أسراف مكة ،
حتى ذاع عنها بأنها الزاهدة في الزواج .

أدست خديجة لمحمد الأمين ، الطاهر ، الفقير ، من أقدنحته
بالزواج من خديجة ، وتم بفضل الله الزواج المبارك ، وفق الحنيفية
شريعة جده إبراهيم عليه السلام ، وتاجر محمد من أموال خديجة ،
وأناقت له لامل الفريسة كي يعبد ربه وفقاً حنيفية جده ، وأن
يملؤها غار حراء ، وفي غير الغار ، حتى نبى ، بسورة العلق ،
وأُرسل بسورة المدثر ، وأكرمها الله تعالى بأن كانت أول
من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسلوا .

قامت خديجة رضي الله تعالى عنها بالذور الذي لا يستطيع أن
تقوم به أي امرأة أو زوجة سواها . لقد كانت بفضل الله تعالى
أمانة من داخل البيت ، كما كان محمد أبو طالب أمانة خارج البيت .
كانت خديجة رضي الله تعالى عنها في معين لمحمد صلى الله عليه

وسلم ، بعقلها التراجيح ، وقلوبها الكبير ، وحنانها الفيض ، حتى
لقيت الله تعالى وهي من الخامسة والستين من العمر ، ووسد لها
محمد صلى الله عليه وسلم قبرها بيده الشريفة . وحتى في حصار
قريش له صلى الله عليه وسلم وبنو هاشم من شعب أبي طالب ،
والذي استمر زهاء ثلاث سنوات ، كانت خديجة رضي الله
تعالى عنها من ذك الشعب المحصور .

وخديجة رضي الله تعالى عنها لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم
قبلها ، ولا عليها ، حتى توفيت رضي الله تعالى عنها . وخديجة
متريلة من قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليست لأية واحدة من
زوجاته صلى الله عليه وسلم ، وفيها عائشة الصديقة رضي
الله تعالى عنها . وخديجة هي أم كل بنه صلى الله عليه وسلم
باستثناء إبراهيم فإنه من مارية القبطية .

لقد حاول كل من لطميد والقصيد أن يفتك هذه المعاني .
والله تعالى أسأل أن يتفضل فيقبل هذا العمل ، ويبارك
ويصنع له القبول ، وينفع به ، إنه سميع مجيب . سبحان ربنا
العزیز عما يصفون . وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب
العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه
أجمعين والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربه
ضحى يوم الثلاثاء ٣٠ / ١١ / ١٤٣٨ هـ
الموافق ٢٤ / ١ / ٢٠١٧ م .
أساتذة القرآن البيانية (سابقاً)
ملكة المكرمة
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

البداهة

- ١- خَدِيجَةُ يَا زَوْجَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ فِي الْيَوْمِ وَالْفَيْدِ
 - ٢- لَقَدْ جِئْتُ قَبْرًا يَا لِحَبْرُونَ يَضْرِبُكُمْ : وَجِئْتُ إِلَيْكُمْ وَقَالَ زَوْجِي تَوْسِي (أ)
 - ٣- وَلَمْ يَمْلِكِ الْمُخْتَارُ دُمُوعَ عَيْنَيْهِ : وَلَا نَحْنُ إِذْ نَلَقِي سَلَامَ تَوَاتُرٍ
 - ٤- أَتَيْتُ بِاللَّيْلِ حَامِلًا لِبَيْتِي : وَكُلِّي حَيَاءً بِيَدِي تَحَلَّتْ يَدِي
 - ٥- فَأَلَا إِنَّهُ شِعْرٌ نَظَمْتُ وَأَدْمَعِي : عَلَى الْخَدِّ تَجْرِي مِثْلَ عَقْدٍ مُنْقَطِرٍ
 - ٦- وَأَنْتُمْ تَأْتَلِي مِنْ جَمِيعِ قَهْرَائِي : وَمِنْ كُلِّ شِعْرٍ قَالَهُ خَيْرٌ مُنْشِدٍ
 - ٧- وَهَذَا الَّذِي أَضْرِبُهُ خَيْرٌ بِضَاعَتِي : أَلَا عَامِلِي نِي بِالَّذِي هُوَ مُقْبَلِي
 - ٨- وَمَاذَا الَّذِي تَرْجِيئِي زَوْجَ مُحَمَّدٍ : وَرَأَيْتَ جِنَانِي أَنْتَ مِنْهَا بِمَوْعِدِ (ب)
 - ٩- أَمْسَيْتَ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٌ : بِذَلِكَ النَّعْتِ يَحْبُوكُمْ لَيْلِي مُجْتَدِدٍ
 - ١٠- بِجَنَّةٍ خَلِي مَا بَيْتُ الْمَلِكِ خَصْرُكُمْ : بِالْوَأْتِ بَيْتِ لَكُمْ مُتَّفَرِّدٍ
- (أ) الْحَبْرُونَ : بفتح الحاء : جبل بأعلى مكة بسفحه مقبرة أهل مكة .
التمعارة : وقال زوجي : وقال يا زَوْجِي تَوْسِي : تَوْسِي : تَوَسَّى .
(ب) زَوْجَ مُحَمَّدٍ : يا زَوْجَ مُحَمَّدٍ .

يا ذينِ اِلهي لَسْتُ مِنْ بَنَاتِ مُرَبِّجَا . يَا قَوْمَ لَهْ قَدْ جَسَدْتُ خَيْرَ مَجْدِ (١)

(١) مَجْدٍ : اَصْلٌ وَعُنْصُرٌ وَمَجْدٌ .

تتميز
ويشتمل التمهيد على ما يلي :
نسب أمّ المؤمنين وحياتها قبله صلى الله عليه وسلم .
المرأة المثالية الناجحة .
هو وجعل بينكم مودة ورحمة
فضائل خديجة .

نَسَبُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَحَيَاتُهَا قَبْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 هِيَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ قُصَيٍّ (١)
 ابْنِ كِلَابٍ (٢) مِنْ قُرَيْشٍ (٣) تَجَمَّعَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ مِنْ قُصَيٍّ وَهِيَ مِنْ أَقْرَبِ نِسَائِهِ إِلَيْهِ فِي النَّسَبِ (٤)
 وَلَمْ يَنْفَرِجْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذُرِّيَّةِ قُصَيٍّ غَيْرَهَا إِلَّا
 أُمُّ حَبِيبَةَ (٥) بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ (٦)
 وَوَلَدَتْ خَدِيجَةَ بِمَكَّةَ وَنَشَأَتْ فِي بَيْتِ شَرَفٍ وَبَيْسَارٍ
 وَمَاتَتْ أَبْجُوصًا يَوْمَ الْفِجَارِ (٧) وَكَانَتْ خَدِيجَةَ تُدْعَى فِي
 الْجَاهِلِيَّةِ الطَّاهِرَةَ (٨)

(١) فتح الباري ١٣٤/٧ والإصابة ٢٨١/٤ والأعلام ٢٠٤/٢
 وتهذيب الأسماء واللغات ٣٤١/٢ ورجال ونساء حول الرسول
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٤٣٤/١ والسيرة النبوية ١٨٦/١ والنسب كما في
 السيرة: «ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب»

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٢٤١/٢

(٣) الأعلام ٢٠٤/٢

(٤) فتح الباري ١٣٤/٧

(٥) فتح الباري ١٣٤/٧ ورجال ونساء حول الرسول ٤٦٦

(٦) رجال ونساء حول الرسول ٤٦٦

(٧) الأعلام ٣٠٤/٢ وانظر في حرب الفجار مثلاً السيرة

النبوية ١٨٣/١ ونور اليقين ١٥ وانظر فتح الباري ١٣٤/٧

(٨) فتح الباري ١٣٤/٧ وتهذيب الأسماء واللغات ٢٤٢/٢ والإصابة

٢٨١/٤

كانت خديجة من الجاهلية زوجه لعتيق بن عاتذ المخزومي
 فأتت عنزاً وله من أولاد ثم تزوجها أبو هالة مابث وقيل
 عند بن زراراة (١) وقيل تزوجها أبو هالة قبل عتيق (٢)
 ومات أبو هالة من الجاهلية (٣) ثم تزوجها النبي صلى الله
 عليه وسلم سنة خمس وعشرين من مولده صلى الله عليه
 وسلم (٤)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يتزوج خديجة
 قد سافر فباعها مقارناً إلى الشام. فأرأى منه ميسرة
 غلاماً ما رغبتا فأتزوجاه (٥)

وكانت خديجة واسعة الثراء والتجارة، وكانت تستحب
 الرجال كي يتاجروا فمالها، فمرطلة الصبيح إلى الشام
 وقد سمعت بالأرضين محمد صلى الله عليه وسلم فرغبت
 أن يتاجر لها، علمت أن تعطيته لأمانته أكثر مما كانت
 تعطيته لسابقه، وافق النبي صلى الله عليه وسلم على عرضها
 زريجة، ثم أرسلت معه غلاماً قيمته، والنار، الفقه
 ورأى أمانته، وخلقاً العظيم، وصباحاً رجوع أخيراً خديجة
 بخبر محمد صلى الله عليه وسلم، ورأت ما حقق من الرجح فرغبت فيه (٦)

(١) تهذيب الأسماء والتلفات ٢/٢٤٢

(٢) تهذيب الأسماء والتلفات ٢/٢٤٢ وانظر فتح الباري ٧/١٢٤

(٣) فتح الباري ٧/١٢٤

(٤) فتح الباري ٧/١٣٤

(٥) فتح الباري ٧/١٢٤

(٦) انظر - مثلاً - التسمية النبوية ١/١٨٦ ونور اليقين ١٨٨ والفضول

من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٩٤

صلّى الله عليه وسلّم زوجاً، وهي التي رغب فيها أشرف
 ملة الملائمة فرفضتم جميعاً، حتى عرف ذلك فيها وانزعجها.
 كان أمّ عمر محمد صلّى الله عليه وسلّم آنذاك خمسة وعشرين
 عاماً (١) فغسست خديجة له من عرض عليه الزواج بها
 فأجاب (٢) وراسم من أرسلتها إلى محمد من هذه الملائمة
 نفسية بنت سنية (٣) وكان عمرها حينما تزوجت محمداً
 صلّى الله عليه وسلّم أربعين سنة (٤) فخطبها صلّى الله
 عليه وسلّم، واختلف فيمن تزوجها إياها، فقيل أبوها فولد
 وقيل عمرها عمرو بن أسد، وقيل أخوها عمرو بن فولد
 ويلاحظ أن الطريقة التي تزوج بها النبي صلّى الله عليه
 وسلّم خديجة قبل البعثة، وهي مما قرأه العرب من حنيفة
 إبراهيم عليه السلام واحتفظت به من مكارم الأخلاق فيما
 يتصل بشروط الزواج من إيجاب، وقبول، وموكل، وموكل،
 هذه الشروط التي طبقها صلّى الله عليه وسلّم بعد البعثة،
 ابتداءً بزواجه بسودة بنت زمعة وعائشة بنت أبي بكر
 رضي الله تعالى عنهما، وانتهاءً بميمونة، آخر زواجه صلّى
 الله عليه وسلّم (٦) رضي الله تعالى عنهن أجمعين.

(١) تهذيب الأسماء والتعارف ٢/٤١١ والأعلام ٢/٢٠٩

(٢) الأعلام ٢/٢٠٩

(٣) رجال ونساء حول الرسول ٤٣٥

(٤) انظر نور اليقين ١٨ وتهذيب الأسماء والتعارف ٢/٤١٢

(٥) فتح الباري ٧/١٣٤

(٦) انظر من الزواج فقه السنة ٢/٥ وفد زواج ميمونة نور

اليقين ص ٢٣٧

لقد بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بالنسخة الكاملة
 والأخيرة من خبيثة إبراهيم عليه السلام، وقد هذا المعنى
 جاء في سورة النحل (١) قوله عز من قائل: هو ثم أوحينا
 إليك أن اتبع ملة إبراهيم خيفاً وما كان من المشركين (٢)
 ولدت فديحة رضي الله تعالى عنها النبي صلى الله عليه
 وسلم القاسم، وكان النبي به، وعبد الله، وهو الظاهر
 والطيب، وزينب، ورقية، وأُم كلثوم، وفاطمة (٣) أم إبراهيم
 فمن ما رية القبطية (٤)

وكان بين كل ولد بينا فديحة سنة، وكانت تسترضع
 لهم وتهنئ، ذلك قبل أن يولد (٥)

ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم قبل فديحة،
 ولم يتزوج عليها حتى توفيها الله تعالى عنده (٥) وتوفيت
 معه صلى الله عليه وسلم أربعاً وعشرين سنة أو شهرًا،
 ثم توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين (٦) وكانت وفاتها
 بعد وفاة إبراهيم لما لبث ثلاثة أيام (٧) من شهر رمضان (٨)

(١) الآية رقم ١٢٣

(٢) الأعداء ٢/٣٠٢ وتهذيب الأسماء والتلفات ٢/٢٤١

(٣) تهذيب الأسماء والتلفات ٢/٢٤١

(٤) الأعداء ٢/٣٠٢

(٥) تهذيب الأسماء والتلفات ٢/٢٤١

(٦) تهذيب الأسماء والتلفات ٢/٢٤١

(٧) تهذيب الأسماء والتلفات ٢/٢٤١

(٨) نور البقيا ٧٢ هامش ٨٩

وكانت رضي الله تعالى عنها، رفيقة محمد صلى الله عليه وسلم في
 اليُسْرِ وفي العُسْرِ وكانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حصار
 الشعب الذي استمر قريبا من ثلاث سنوات (١) لقد
 توفيت رضي الله تعالى عنها بعد خروجه عليه، لقتلته والسلم
 من الشعب بقليل، وقبل الهجرة بثلاث سنين (٢)
 وفات بريح دمشق أنزلها توفيت في رمضان سنة عشر
 من النبوة وهي بنت خمس وستين سنة، ودُفنت
 بالحقون، ونزل النبي صلى الله عليه وسلم في حفرتها
 وذلك بعد خروج بني هاشم من الشعب بييسير (٣)

(١) نور اليقين ٦٩

(٢) نور اليقين ٧٤

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٤٢

المرأة المثالية التاجرة :

شاء الله تعالى لخديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها
أن تعيش في بيت شرف و ثراء ، وشاء لها أن تزوج
مريتين اثنتين ، قبل زواجها من محمد بن عبد الله صلوات الله
عليه وسلم ، وأن يتوقف كل من الزوجين ، ويستطيع أن
يفهم أن هذه المرأة المسترطبة الثرية قد تزوجها ، وما
شريفان . ويغلب على الظن أثرها رجلا ن شريفا ، والثراء
معناه أن ما ورثته خديجة من زوجها يعاضد إلى ما إليها
التسابق الكثير .

زهدت خديجة في الزواج ، وكل الأشراف الذين ظهروا
قد رفضتهم ، الواحد تلو الآخر . وقد انصرفت إلى ما إليها
تتميمه ، شأن كل إنسان حبيب ، وانجذبت إلى التجارة
شأن أهل مكة ، المعروفين بالمهارة في التجارة ، وقيادة
القوافل التجارية . وكانت تجارها مع الشام ، والقافلة
الصفية التجارية التي تذهب إلى الشام ، أكثر من تجارها
مع القوافل الأخرى ، وبالذات الرحلة الشتوية التي
تذهب إلى اليمن .

ولما كانت خديجة امرأة تاجرة ، ويصعب عليها السفر
وترك تجارها الدافلية ، فقد كانت تستأجر الرجال كي يقوموا
بهذه المهمة بدلا منها ، ووفق الطرق التجارية المتبعة
في أمثال هذه الظروف ، والمعروف أن أهم شروط
التجارة الأمانة ، وخاصة العولاة الذين يوكلم أصحاب
رءوس الأموال .

وكان من مكة المكرمة رجل واحد أمين ، ظفر وحده بقلب

أمن ملكة، وهذا الرجل الأمين هو محمد الأمين، فتم ملكة
الملكمة وابنها البار.

سبغت خديجة بهذا الرجل الأمين، فرغبت من أن توكله
على أموالها، فوظفته أمانة الله التي ذاع صيتها وأصبحت
تقرب أهلها، كي يقوم بدور الوكيل عنها من رحلة الصيف إلى
الشام على جهة التمديد.

تعدت خديجة محمدًا الأمين، وأفضحت له عن رغبتها
من توظيف أمانة من تجار تراء، والقيام بدور الوكيل عنها
من الرحلة الصيفيّة القادمة والمتمهدة إلى الشام. قبل
محمد هذه الوكالة، وبيعت خديجة له بأثرها سبعون تعطيه
أكثر مما كانت تُعطي وكلاءها السابقين، وبيعت له أتم
سبب أفقه من هذه الرحلة غلامًا ميسرة، فترقت محمد
بذلك، كي يكون الغلام عونًا له في مهنته.

كان محمد مثل أمه عليه وسلم قد قام من قبل برحلة قصيرة
إلى الشام مع عمه أبي طالب حينما كان محمد من الثانية عشرة
من العمر (1) ومع أن الرحلة كانت قصيرة، فقد كانت تصد
التجارة. وينبغي أن يكون محمد الأمين قد استفاد من
هذه الرحلة التجاريّة، وتعرف ما الذي يروج من البضاعة
من مكة من الشام من بضاعة مكة، وما يروج من مكة من
بضاعة الشام. وكان الغلام ميسرة تمينا ساهرة تبصر
ما يقوم به محمد الأمين، التاجر النظيف الشريف، والشخص
الطاهر العفيف.

(1) نور اليقين ص 11

نظر ميسرة إلى محمد الأمين وسلموا له فقال في نفسه:
هل محمد ينشئ، أم مثلك تزل من السماء. ولعل ميسرة
قال في نفسه: محمد الأمين هو أول الناس بالزواج
من خديجة، بحيلة مكة، فالمرأة المثالية الناجرة.
عاز محمد الأمين من رحلة الصيف إلى الشام ومع
من المال الكثير، ومن الربح الوفير، ومن بضاعة الشام
التجارة من مكة الأنواع الكثيرة، والكميات الوفيرة
ولم يجد محمد الأمين صعوبة فتأمن مستودعات للتجارة
فكان خديجة منها المستودعات المتنوعة.
نصبت محمد الأمين إلى البيت العتيق طائفاً، ونصبت
الغلام ميسرة، إلى سقينة خديجة، ونقل إليها أخبار ميسرة،
عن التجارة الراجعة. وأهم من هذه الأخبار السارة عن
التجارة الراجعة، نقله سيرة محمد الأمين العطرة، وبخاصة
أمانته الطاهرة، وعفته الباهرة.
لقد سرت خديجة بالأخبار السارة عن تجارة الراجعة،
وسرت بدرجة أكبر، بسيرة محمد الأمين العطرة،
وأمانته المعتبرة، وعفته المقدرة، فالتحذت من السر
فوراً قرارها بالزواج من هذه الجوهرة الثمينة، والذرة
التيمة، وأخذت من نورها هذه المرأة المطلقة بالقاهرة،
بأسباب تفيق الهدف السامي النبيل، وهو عقد من أهم
أهداف حنيفية إبراهيم عليه السلام، في مجال مكارم
الأخلاق. وقد كان كل من خديجة الطاهرة ومحمد الأمين،
حريصاً على إتمام مكارم الأخلاق، التي جاءت بحنيفية
إبراهيم عليه السلام. ومن أهم مظاهر مكارم الأخلاق

الزواج وفقاً حنيفة إبراهيم عليه السلام . وقد كان محمد
الأمين زعيم الحنفاء الذين كانوا حريصين على إنقاذ ما
يمكن إنقاذه من حنيفة إبراهيم عليه السلام ، من مكالم
الأطلاق . وضا مقدمات الزواج . والمعروف أن محمد
صلى الله عليه وسلم بعث بالنسخة الأخيرة والكاملة من
حنيفة إبراهيم عليه السلام . وعلى سبيل المثال انظر إلى شروط
الزواج من الملتين الإبراهيمية والمحمدية . وكما تعلم أنها
واحدة . انظر إلى الطريقة التي تزوج بها محمد صلى الله عليه
وسلم خديجة قبل البعثة ، والطريقة التي تزوج بها مهوية
آخر زوجاته صلى الله عليه وسلم . إن الطريقة في كل
زواج واحدة .

ولكنظر بالبار إلى اختيار خديجة زوجاء . إن هذا
الاختيار ينبغي أن يكتبه التاريخ بحروف من نور ، إلى
جانب كتابته سيئات العرب قبل الإسلام إلى جنس النساء .
لقد فطرت خديجة ، وخطت ، ونفقت ، وأرسلت نفسها
بنت منية الحبيبة الحليمة لكي تقوم بهذه المهمة . ونجت
نفسه من هذه المهمة ، وطفقت بموافقة محمد الأمين
أن يتزوج بست نساء ملكة الطاهرة خديجة .
وبفضل الله تعالى تم زواج محمد الأمين ، بست نساء
العالمين ، وكان له من المال البين عد إبراهيم ، وكان كل منهما
نعم الزوج للأخر ، ولم يتزوج محمد الأمين قبل خديجة ، ولم
يتزوج أخرج عليها ، حتى توفيت وهي من الخامسة والستين ،
ووفد صلى الله عليه وسلم فاستقر جبل الحجون ، ووشد طاف
قبها بيده الشريفة ، محمد الأمين .

هو جعل بينكم مودةً ورحمةً

أكرم الله تعالى خديجة بنت خويلد بمحمد الأمين زوجها لها،
وأكرم محمد الأمين بخديجة زوجة له. لقد شرح الله تعالى
صداق خديجة حينما اختارت محمدًا الأمين زوجها لها، وشرح
الله تعالى صداق محمد الأمين، فوافق على هذا الاختيار
وباركه.

وإذا نظرنا إلى ما ينتظر كلاً من محمد وخديجة بشأن
دين الإسلام الذي أكمله الله تعالى ورضيه لنا، وأتم به
النعمه علينا، وحينما نقارن بين كل زوجات محمد صلى الله
عليه وسلم ننبين أن خديجة هي الزوجة المناسبة له،
بين كل زوجاته عليه الصلاة والسلام.

لقد كانت خديجة ذات تجربة كبيرة من الحياة، وكانت من
الأربعين من عمرها، وهي سن كمال النضج من الإنسان
عموماً، بينما كان محمد الأمين من الخامسة والعشرين،
إن خديجة المرأة المثالية المثلثة، شديداً أمانة محمد
الأمين كما تستأجره من تجارتها إلى الشام، وإن خديجة
قد شتت الخلق العظيم لمحمد كي تختاره زوجاً، وقد بارك
الله تعالى هذا الاختيار.

إن محمدًا الأمين كان بعد رواجه من خديجة يتاجر من
أمواله، وطبيعة التاجر أنه قليل وقته، وقد ناحت
خديجة المرأة المثالية العاقلة الناضجة لمحمد كي يبارك خلوته،
عابداً الله تعالى، ضارحاً حراً، وضامياً حراً، كي يعبد
الله تعالى وفق حنيفية إبراهيم عليه السلام.
لقد صيأت خديجة لمحمد كل الظروف كي يخلو، لكي يستفيد

من خلوته، وبتماكي يصل إلى أمنيته، بأن يحيى هنيئته
 إبراهيم عليه وسلم. وكان فضل الله تعالى على محمد أكبر مما
 تخيل محمد وتمنى. ولا ننسى أن تعقبت محمد وخلوته لعبادة
 الله تعالى، وتحنفه، وتفرضه لعبادة الله تعالى، وخاصة
 في غار حراء، كل هذه الأمور كان محمد ينظر بالقيام بها
 وحده دون سواه. وكانت خديجة نعم اطمين لمحمد، حسناً
 ومعيناً.

إن هذا السلوك الحميد من خديجة، كان هناك زوجة ومدة
 هي الموصلة كي تقوم به وحدها، دون أي زوجة أخرى،
 وهذه الزوجة هي خديجة.

ثم إن هناك أمراً مهماً واحداً، تستطيع أن تقوم
 به خديجة وحدها، وهي تكبر محمد، الأمين بضم الميم عشرة
 سنة. وهذا الدور هو دور الأمومة.

إن محمد فقد أمه آمنة بنت وهب وهو من السادسة
 من عمره (١) فحضته أم أيمن، وكفله جده عبد المطلب الذي
 أحبه حباً جماً، وورق له رقة شديدة (٢) ولكنه سُرعان
 ما توفي حينما كان محمد من الثامنة من عمره (٣) فكفله
 شقيق أبيه أبو طالب (٤) فكان له بمثابة الأب الحنون،
 والأقرب الزموم. ولكن ذلك الحنان كله كان دون مستوى خنان الوالدة.

(١) نور اليقين ١٣ ما مشرق رقم ٣٩

(٢) نور اليقين ١٣ ص

(٣) نور اليقين ١٣ ص

(٤) نور اليقين ١٤ ص

لأن كان محمد بحاجة إلى تمثيل خديجة وتجاريتها في الحياة
وحاجة إلى حضانة أمه آمنة بنت وصب. إن هذين النوعين
من الغذاء كانت خديجة ووجدتها، هي التي تستطيع أن
تقدها محمد الأمين.

وما هي ذي خديجة توظف مقلداً وقلها في خدمة
محمد الأمين.

ما هي ذي خديجة تساعده محمد الأمين على أن يخلو
لعبادة ربه عز وجل، وما هي ذي تكبر الإبرصيات الأمر
العظيم القادر، وتقار تلك البشائر التي تجلت في رؤيا
محمد الأمين التي تتحقق مثل ضوء الفجر، ونور الصبح.
وما هي ذي ترعاه حينما يخلو منا غار حراء، ولو امتدت الخلوة
شراً كاملاً.

وبعد أن جاء جبريل عليه السلام في يوم السابعة عشر
من شهر رمضان المبارك بالخمس الآيات الأولى من القرآن الكريم،
وهو من غار حراء، وبعد أن جاء محمد الأمين بينه خائفاً منموراً
صائحاً قائلاً: زملون زملون، زملته، وصدة آت من روعه.
وبعد أن صدأ، ووقد عليها ما حدث، وقرأ عليها الآيات الخمس
الأولى من سورة العلق: **أَمْ دَرَكْتُ أَنْ أَنْزِلَ** جاء محمد أملك
وليس شيطاناً، وأكذبت هذا الإدراك بتذكيرها محمد الأمين
بأخلاقه العظيمة، ونعوته الحميدة، من صلة رحم، وإغاثة
لهوى، ومعاونة محتاج، وإغاثة كل شخص على نواب لدهر
إن من كان بهذه النعوت يتعرض له اطلاق لكمة وليس الشيطان.
وذلك على رباطة جأشراً، وكمال عقلها، أنها مضت به إلى
ابن عمها ورقة بن نوفل، سمع ورقة من محمد ما جرى له،

وَنَزَّلَ عَلَيْهِ الْخَمْسَ الْآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . بَشِيرَةً وَرِيقَةً
بِأَنَّ الَّذِي جَاءَهُ جِبْرِيْلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ .
وَكَانَ وَرِيقَةً قَدْ نَقَّرَ وَيَقْرَأُ بِاللِّسَانِ الْعِبْرَانِي ، وَيَقْرَأُ وَيُفَضِّلُ ، وَيَتَرَجَّمُ
مَا شَاءَ تَرْجُمَتَهُ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ .

إِنَّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا قَوْلَ مَنْ أَسْلَمَ عَنْهُ الْإِطْلَاقُ
وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّ بَسُورَةٍ : أَقْرَأُ .
عَنْ رَسُولِ بَسُورَةِ الْمَدْشَرِ (١) وَصَدَّقَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ .
وَقَفَّتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي أَشْهُاءِ الدَّعْوَةِ السِّرِّيَّةِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ ،
وَالدَّعْوَةِ الْبَهْرِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ .

لَقَدْ كَانَتْ فِي حِمَّةٍ أَصْفَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَيْتِ ،
وَعَمَّتْهُ أَبُو طَالِبٍ أَمَّنَةً فَارِحَ الْبَيْتِ . وَكَانَتْ خَدِيجَةُ تَتَشَدَّدُ مِنَ
الْأَزْرَادِ أُمَّمًا ، وَتَشَارِكُ مُحَمَّدًا شِئُونَهُ وَشَجْوَنَهُ . وَحِينَمَا
حَامَرَتْ قَرِيشٌ مُحَمَّدًا وَبَنِي هَاشِمٍ مِنْ شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ
سِنَوَاتٍ كَانَتْ مَعَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشُّعْبِ .
وَحِينَمَا خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الشُّعْبِ خَرَجَتْ
مَعَهُ . وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ تَوَقَّعَتْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا مِنْ شَهْرِ
رَمَضَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ ، فَفَقَدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
أَمَّنَةً مِنَ الْبَيْتِ ، وَقَبِلَهَا بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَوَقَّعَتْ عَمَّتْهُ أَبُو طَالِبٍ ،
فَفَقَدَ أَمَّنَةً فَارِحَ الْبَيْتِ ، وَاسْتَدَّ أَرْسًا قَرِيشِيًّا لَهُ ،
وَفَعَلُوا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَفْعَلُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ،

(١) الْفَعُولُ فِي سِيَرَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٩٧

فذهب إلى تقيف من الطائف ، يطلب العون والتأييد ، فكان
ردهم عليه سيئاً ، بما ليس عليه من مزيد ، فاستجى ذلك
العام علم الحزن .
وإذا كانت الأرض قد ضاقت بحمد من الله عليه وسلم ،
فقد ارتقت به السماء ، من صيثة معجزة الإسراء
والمعراج .

فضائل خديجة :

خديجة بنتا فضائل السيدة خديجة رضي الله تعالى عنها
ذكر بعض الأثر حديث عن فضائلها :

أروى الإمام مسلم في صحيحه (١) عن علي رضي الله
تعالى عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
خديجة بنت مريم بنت عمران، وخديجة نساء خديجة بنت
خويلد.

قال الطيبي: الضمير الأول يعود على الأمة التي كانت
خديجة مريم، والثاني على هذه الأمة. قال: ولهذا كثر الظلم
تنبئاً على أن حكم كل واحدة منها غير حكم الأخرى (٢)
وجاء ما يفسر المراد مديناً. فَرَوَى البزار والطبراني من
حديث عمارة بن ياسر رفعه: لقد فضلت خديجة على نساء
أمتي، كما فضلت مريم على نساء العالمين. وروى حديث
حسن الإسناد. واستدل بهذا الحديث على أن خديجة
أفضل من عائشة (٣)

وأروى الإمام مسلم (٤) عن ابن مسعود رضي الله تعالى

حديث
(١) صحيح مسلم ٤ / ١٨٨٦ حديث رقم ٤٤٣٠ وانظر فتح الباري ٧ / ١٣٣
رقم ٣٨١٥ و ٣٨١٦ و ٣٨١٩ و ٣٨٢٠ و ٤٧٠ / ٦ حديث رقم ٣٤٣٢ و ٣٤٣٦ / ٩ و ٣٣٦ / ٩ و ٣٣٦ / ٩ و ٣٣٦ / ٩
و ٤٣٥ / ١٠ حديث رقم ٦٠٠٤ و ٤٥٢ / ١٣ و ٤٥٢ / ١٣ و ٤٥٢ / ١٣ و ٤٥٢ / ١٣
(٢) فتح الباري ٧ / ١٣٥ (٣) فتح الباري ٧ / ١٣٥
(٤) صحيح مسلم ٤ / ١٨٨٧ حديث رقم ٤٤٣٢ وانظر فتح الباري
٧ / ١٣٣ حديث رقم ٣٨٢٠

عنه قال: أتت جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال:
 يا رسول الله، هذه خديجة قد أتتك (١) معها إناء فيه
 إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك (٢) فاقرأ
 عليها السلام (٣) من ربها عز وجل، وصني. وبشرها ببیت
 من الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.
 وبشرها ببیت: قال الخطابي وغيره: المراد بالبیت هنا
 القصر (٤)

من قصب: قال جمهور العلماء: المراد به قصب التؤلؤ
 المحببون كالقصر المنيف (٥)
 لا صخب: الصخب الصوت المخلط المرتفع (٦)
 ولا نصب: التعب: المشقة والتعب (٧)
 وجاء في الإصابة (٨): لا وأخرجه النسائي والحاكم من

- (١) قد أتتك: قد توجهت إليك صحيح مسلم ٤/١٨٨٧، هامش رقم ٣
- (٢) فإذا هي أتتك: أي وصلتك صحيح مسلم ٤/١٨٨٧، هامش رقم ٤
- (٣) فاقرأ عليها السلام: أي سلم عليها صحيح مسلم ٤/١٨٨٧، هامش رقم ٥
- (٤) صحيح مسلم ٤/١٨٨٧، هامش رقم ٦
- (٥) صحيح مسلم ٤/١٨٨٧، هامش رقم ٦
- (٦) صحيح مسلم ٤/١٨٨٧، هامش رقم ٧
- (٧) صحيح مسلم ٤/١٨٨٧، هامش رقم ٨

(٨) الإصابة ٤/٢٨٣

حديث أنسما: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال: إن الله يقرأ عملك خديجة السلام فقالت: إن الله
هو السلام، وعمل جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة
الله»

و جاء من الإصابة (١): «وقد أثنى النبي صلى الله عليه
وسلم على خديجة ما لم يثن على غيرها، وذلك في حديث
عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد
يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها.
فذكرها يوماً من الأيام فأخذت الغيبة فقلت: هل كانت
والآن تجوز أقد أبدك الله خيراً منا فغضب ثم قال: لا والله،
ما أبدني الله خيراً منا. آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني
إذ كذبني الناس، وعاسمتني بما أراها إذ حقني الناس،
ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء. قالت عائشة:
فقلت من نفسي لا أذكرها بعد ما بسببة أبدأ»

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة (١)
ما غرت على خديجة - ولقد قلت قبل أن يتزوجني ثلاث
سنين - بما كنت أشبهه يذكرها، ولقد أمره الله أن يبشّر بها
بيت من الجنة من قصب، وإن كان ليدبح الشاة ثم يدهي
من خلّتها منها (٢)

(١) الإصابة ٢٨٣/٤

(٢) على خديجة: من خديجة فأقام على مقام من. فتح الباري ١/٤٣٥

(٣) فتح الباري ١/٤٣٥ حديث رقم ٦٠٠ وصحيح مسلم ٤/١٨٨٨ حديث

رقم ٢٤٣٥ من خلّتها: من صدقها.

قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
ذبح الشاة فيقول : أرسلوا بها إلى أصدقائي خديجة .
قالت : فأغضبته يوماً فقلت : خديجة ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إنني قد رزقتُ خبثاً (١)

وعن عائشة قالت : استأذنتُ مالة بنت خويلد أخذت
خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف
استئذان خديجة فارتاح لذلك . فقال : اللهم إلهة
بنت خويلد فغرتُ فقلت : وما تذكر من عجوز من قريظة
حراء الشهقين (٢) قتلته من الأهر فأبدت الله
خيراً منها (٣)

وعن عائشة قالت : لم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خديجة حتى ماتت (٤)

(١) صحيح مسلم ٤/١١٨٨ حديث رقم ٢٤٣٥

(٢) حراء الشهقين : معناه عجوز كبيرة جداً ، حتى قد سقطت

أسنانها من التلبت ولم يبق لشمه قيباً بها من شيء من

الأسنان ، إنما بقي فيها حرة لثارتها . صحيح مسلم ٤/١١٨٩ فامش

رقم ٣ والشهق : جانب الفم مما تحت اللثة .

(٣) صحيح مسلم ٤/١١٨٩ حديث رقم ٢٤٣٧ وفتح الباء ٧/٢٤٤ حديث رقم ٣٨٢١

(٤) صحيح مسلم ٤/١١٨٩ حديث رقم ٢٤٣٦

لقد ذكرت عائشة رضي الله تعالى عنها أنها تعلم المرتبة
 الأولى بين زوجاته صلى الله عليه وسلم بعد خديجة رضي الله
 تعالى عنها، وقد أريدت أن تعلم هل هذه المرتبة تتقدم بها
 على خديجة، وتمنت عائشة ذلك، وقرئت على بلوغ تلك
 الغاية. وكذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين لعائشة
 رضي الله تعالى عنها أن الحب إنما هو لزوجته الأولى، خديجة
 رضي الله تعالى عنها وأرضاها، ورضي عن كل زوجاته صلى
 الله عليه وسلم وأرضاها جميعاً آمين (١١)

(١١) انظر ص ١٠٠ فتوح الباء ١٠٠/٣٥٥ ع باب: حسن العهد
 من الإيمان .